المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية | المجلد 7 / العـــدد: 2 (2022)، ص 87- 100

الجنون والمجانين في مدينة تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر

Madness and madmen in the city of Tunis during the second half of the nineteenth century

د. محمد البشير رازقي*
أستاذ مساعد بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بجندوبة (تونس)
Rezgui.medd@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/05/03 تاريخ القبول: 2022/05/16 تاريخ النشر: 2022/09/06

ملخص:

سعينا أن نقدّم من خلال هذا العمل مجموعة من الإضافات. تبيّن لنا أهميّة فئة "المجانين" في مدينة تونس خلال النصف الثاني من القرن 19. تعرّض المجنون لمجموعة لعنف رمزي كبير من قبل السكّان حيث وُصم بنعوت كثيرة وشُكّلت حوله صور نمطيّة عديدة. لم يكتفي المجتمع بذلك، حيث لم يُخضع المجنون للعلاج بل للعزل والحجز والاقصاء ولم يُواكب التطبيب والعلاج في الإيالة التونسيّة التقدّم الطبّي في أوروبا خلال نفس الفترة التاريخيّة. من ناحية أخرى، أثّث المجنون فضاء مدينة تونس بتصرّفات كثيرة منها الطريف ومنها العنفي، وفي الحالتين سجّل حضوره الذي حاولت العائلة والمجتمع والسلطة تغييبه.

كلمات مفتاحية: القرن 19، تونس.، المجنون.، المجتمع.، الوصم الاجتماعي.

Abstract:

We sought to present through this work a set of additions. We show the importance of the "madmen" category in the city of Tunis during the second half of the 19th century. Al-Majnoun was subjected to a group of symbolic violence by the population, as he was stigmatized with many labels and many stereotypes were formed around him. Society was not satisfied with that, as the insane were not subjected to treatment, but to isolation, confinement and exclusion, and the treatment and treatment in the Tunisian state did not keep pace with medical progress in Europe during the same historical period. On the other hand, the insane person furnished the space of Tunis with many funny and violent behaviors, and in both cases he recorded his presence, which the family, society and the authority tried to hide.

Keywords:

19th century. Tunis. Madness. Society. Social Stigma

* المؤلف المرسل: محمد البشير رازقي

1. مقدمة:

مثّلت مسألة مراقبة المجنون والسيطرة عليه هاجسا أساسيّا خلال القرن 19 ليس فقط في البلاد التونسيّة بل في أماكن مختلفة من العالم[1]. تأثّرت التقنيات والمهارات الطبيّة والعلاجيّة خلال القرن 19 بالتطّور العلمي والاكتشافات الطبيّة[2]. وقد أصبح يُنظر للمجنون نظرة أكثر علميّة وعقلانيّة خلال هذه الفترة مقارنة بأزمنة سابقة مثل العصر الوسيط مثلا[3].

احتوت الوثائق الأمنيّة المحفوظة بالأرشيف الوطني التونسي على معلومات مهمّة تهتمّ بالجنون والمجانين وإن كانت معلومات عرضيّة ووثائق غير مخصّصة للمجانين. حاولنا في هذا المقال العمل على فئة اجتماعيّة مهمّة ومهمّشة في نفس الوقت، وطرحنا مجموعة من الإشكاليّات وأهمّها: كيف نظرت السلطة وسكّان مدينة تونس للمجنون؟ ما هي الأساليب التي تمّ تعامل بها مع المجنون؟

2. المجنون والتصنيفات

برزت ظاهرة الجنون في ايالة القرن التاسع عشر بصفة ملحوظة من خلال مدونتنا المصدرية. ومن خلال وثائقنا استطعنا احصاء 162 حالة جنون، من ضمنهم 10 نساء، و17 يهودي ويهوديّة واحدة، وفي حدود عشرة أوروبيّين، والعدد الباقي من أهل الايالة. أما الفئة العمرية لهذه الفئة فأغلبهم كهول.

وقد تم استخدام عدة مصطلحات للتعبير عن هذه الظاهرة مثل " واقع بعقله خلل" [4] / " مهبول"[5] / " واقع بعقلها اختلال"[6] / "مختبل في عقله"[7] / "مصابة بالجنون"[8] / " مهتوع في عقله"[9] / " واقع بعقله خبال"[10] / "وقع بعقله اختبال"[11] / "واقع بعقله بعض الخبال"/ "معتوه في عقله"[12] / "واقع بعقله خبل"[13]/ " امرأة مهتوعة بها جنون"[14] / "امرأة واقع بعقلها"[15] / "بعقله بعض خبال"[16] / رجل "يعلمون منه الجنون"[17] / مختل العقل"[18] / "من اللذين لا يقام عليهم حد لأنه من البهلا...مهتوع في عقله"[19] / "بعض مختلي العقل من المجاذيب"[20] / "رجل بُهالي"[21] / "أحد المجانين"[22] رجل "مختبلا اختبالا كبيرا في عقله"[23] / "درويش" ضرب رجل وذلك "من قلة عقله"[24] / رجلا "سليب العقل"[25]، و"غشيم"[26].

أيضا لم يسلم أي مكوّن من مكونات مجتمع الايالة سواء اثنيا أو دينيا أو جنسيا من هذه الظاهرة، حيث نجد اليهودي هوده مهبول[27] / اليهودية عزيزة بنت شالوم[28]/ عسكري مجنون[29] / الحاج طاعات المغربي مجنون[30] / سالم بن علي شوشان مجنون[31] / محمد بن علي الوارقلي مجنون[32] / أحمد بن عمر الغربي مجنون[33] / مالطي به خبال[34] / نصراني من حماية ايطاليا "له شهرة باختلال العقل"[35]. ونسجّل من خلال الوثائق نظرة ضبابية لمرض الجنون, حيث نجد مثلا عمار العوني صبايحي "اعتراه مرض من نوع المجانين بحيث أنه يكن راكبا دابته فيسقط الى الأرض من حيث لا يشعر بنفسه"[36].وفي وثائق أخرى يمكن أن يتلازم الجنون بالتقدم في السن, حيث نجد عسكري "ظهر عليه الاختلال بعقله و كبر سنه". [37]

3. تفاعل مجتمع مدينة تونس مع المجنون

تمّ التعامل مع المجنون في الفترة المدروسة بقسوة، مثل حالة عسكري ضرب رجل "بُهَالِي...بوراية المكحلة على رأسه حتى سال دمه"[38]. كما أعوان الضبطية من ناحيتهم وجدوا اليهودي هوده في الليل وهو مجنون " وقد كان محدد"[39]، أي مقيد بالحديد. و ونجد "ولد "وقع له اختبالا بعقله...هو الآن مثقّل بالحديد في داره"[40].

وعادة كلّ من يفقد قدراته العقليّة حسب المعايير المجتمعيّة للفترة المدروسة يتعرّض للسجن، وهذا ما بيّنته أحد الوثائق حيث " الحكم في القانون يسجن من خرج عن حدّ التمييز بسكر أو جنون الى أن يفيق "[41]. حيث نجد مثلا يهودي "مهتوع في عقله" معتقل في سجن الضبطية وقد تم تقييده بشباك السجن"[42]، و الحاج صاعاتوا المغربي "مخمور وبه اختبال عقل" حكم عليه في مجلس الضبطية بأن "يجلد بأربعماية جلده و يسجن...وهو لم ينشى منه شيء"[43]. وهذا اليهودي أوصى عليه المجلس "أحبار اليهود أن يقيدوه بمحل"[44]. أيضا امرأة مجنونة سجنها المجلس بالسجن[45]. وقد تعرّض "المجنون" لعدّة صعوبات حين التواصل مع الآخر، مثل ستة أطفال أخذوا يلاحقون يهودي " مهبول و هم ينايشوا فيه"[46]، و" الحاج بكار بن سالم المهيلة" اشتكى بالبشير سركونة " صهره مدعيا أنه وقع بعقله خلل يريد سجنه بالمارستان "[47]. ونلاحظ من خلال تمثل هذا الرجل أن المارستان هو عبارة عن سجن و ليس مكان للمداواة و التعافي، أي هو مكان للتخلص من أعباء هذا المريض وسجنه وعزله عن الأنظار.

ومن الاجراءات التي تم التعامل بها مع المجنون هو ارساله "للمارستان"[48]، وهذا الإجراء عادة ما يقوم به مجلس الضبطية[49]. و نلاحظ من خلال أحد الوثائق أن لليهود مارستانهم الخاص حيث نجد يهودي مجنون ضرب رجلا " فأرسل لمارستان اليهود"[50]. أما طعام المريض بالمارستان فعادة ما تتكفل به عائلته[51]. أما المرأة مثل حالة المرأة دولة بنت محمد التومي فقد "أرسلت الى التكية...غللت بالحديد ببيت بالدار المذكورة وكان بالبيت معها امرأة أخرى مختلة العقل...فعمدت المرأة المذكورة الى الحجارة التي بالحايط فاقتلعت بعضها و رمت به المرأة المذكورة"[52].

ويمكن أن يُرحّل "المجانين" الأوروبيون الى بلدانهم، مثل "نفر فرنساوي وقع له اختبال بعقله طلب القنصل توقيفه بالمستشفى العسكري الى أن يركبه في الفابور الفرنساوي"[53]. ونجد أيضا أن عسكريا "وقع له خبال بعقله وحكم عليه الطبيب بالتوجه لرادس" ل"تبديل الهواء"[54]. واجراء اخر اتخذ ضد المجنون, حيث نجد "نفر من العامة...وقع له الاختبال في عقله فوضع بقصبة المنستير التي الان بيد العسكر"[55].

والمرض العقلي يمكن أن يتطور ويتفاقم عند المريض مثل حالة رجل "وقع بعقله خلل تقوى به"[56]، ورجل اخر "من مدة سبعة أيام فارطة وقع له بعقله اختبال وكثر به ذلك"[57]. أو يمكن أن تكون عوارضه سطحية مثل الرّجل "علي بوراوي الطرابلسي الفيتوري...بعقله بعض خبال"[58]. ويُعتبر الاغماء من عوارض الجنون حيث

"تستخيل عنه أرواح الجان"[59]. ويمكن أن يتعافى المريض من "الجنون" مثل حالة عسكري "وقع له خبال بعقله و سجن بالمارستان و تعافى ثم أتى و خدم بالقشلة"[60]، وعسكري آخر "اختل عقله" وذهب للمارستان, ثم بعد ستة أشهر "أخبر عنه وكيل المارستان أنه الان رجع عقله"[61]، وعسكريين تعرضوا للمرض وأرسلا للمارستان و "كلا من النفرين...عافاهما الله و اعتدل عقلهما"[62].

تعرّض تعرض من قبل محيطه لقسوة بالغة. ففي أحد الوثائق نجد أن علي بن ابراهيم الجبالي اشتكى "باليهودي زاكي بن شالوم مدعيا أنه عنده ابن مهبول محدد ببيت (أي مقيد بحديد الى الحائط) في داره وهو مجاور له الحايط بالحايط وأنه يهدم له في حايطه حتى نقبه أخذ فيه كثير" (أي بسبب ضربه للحائط ومحاولة فك نفسه من الحديد)[63]. وفي وثيقة نسجّل أنّ "يهوديّا حماية الفرنسيس يسمّى حوته بسيس مهتوعا في عقله وله مدة مثقلا بالحديد بداره فقطع الحديد وخرج يطوف بالأزقة" ثم ضرب نفسه بسلاح حاد "جرح رقبته"[64]. رجل آخر سجن بالمارستان و خصصت له سلسلة "موثوق بها بالحايط"[65]. أما العربي بن الحاج عمر المغربي الجواني "وقع بعقله اختبال وكثر به ذلك أفضى الحال الى قيدوا له يديه بحديد خشية قتل نفسه لأنه تارة يخنق روحه وتارة يريد ذبح نفسه" ثم وجد هذا في أحد الأيام ميت ببئر المنزل "سبب موته الغرق...ووجدوا يداه موثوقتان"[66]. توثيق يده هنا منعه من تفادي الغرق.

اعتمدت تقنية "التحديد" للسيطرة على المجنون وهي وسيلة مؤلمة لم يسلم منها الرجل المريض ولا المرأة، بل نلاحظ أن المشرف على عملية التحديد ليس سلطة العائلة فقط بل السلطة الدينية أيضا. ويتمثّل التحديد بربط أرجل المجنون بسلسلة حديديّة. ففي أحد الوثائق نجد أن اليهودي بنيامين اشتكى باليهودي لياه بن يعقوب صرفاتي "مدعيا عليه أنه عنده يهودية امرأة واقع بعقلها و كان حددها الأحبار و سيبها وجعلت هرجه بالدار و كسرت المواعن مطالبا له بردها كما كانت"[67]. إذا تقنية " التحديد" رغم قسوتها إلا أنها كانت خاضعة لاتفاق المجتمع عليها ورضائه بها. وهذا دليل أيضا على النبذ والاقصاء الذي تعرض له المريض العقلي من الفضاء العائلي، أي الحيز الخاص، ومن الحيز العام. و استخدام هذه التقنية هدفها مُدارات وإخفاء المريض قدر الامكان عن أعين المجتمع فأحمد بن محدمد الورشفاني "وقع له بعقله الاختبال" وقد أمر مجلس الضبطية أهله "بحفظه بالحديد فحفظوه"[68].

ومن خلال وثائقنا نلاحظ أنّ المارستان تمّ التعامل معه باعتباره سجن لل"المجانين" وليس مكان استشفاء، حيث نجد مثلا أنّ "المرأة صالحة بنت خميس" أشتكت بزوجها العربي العوني "مدعية أنه وقع بعقله خلل و أساء لها تريد سجنه بالمارستان"[69]. إذا المجنون في تمثّل أهل الحاضرة خلال القرن التاسع عشر هو عبئ يجب التخلص منه حتى ولو كان ينتمي الى العائلة وهو عبارة عن عار يجب ابعاده عن الأعين وسجنه بالمارستان و "تحديده" لا مداواته. إذا من خلال نظرة أهل الايالة للمريض العقلي نلاحظ اقتناعهم بصعوبة مداواة هذا النوع من المرض وغياب شبه كلي لديهم للدور العلاجي الذي يمكن أن يقوم به المارستان، هذا مع ترك وظيفة

المداواة لله، وهذا ما نستشفه في أحد الوثائق حيث وضع مجنون بالمارستان "سجنه المجلس بالمارستان اللى أن يعافيه الله"[70].

هنا وضعية الجنون يمكن أن تصنع حاجزا حتى بين الأم وابنها حيث "اشتكت المرأة هنونة بنت عمر الصغير (الى مجلس الضبطية) بابنها صالح ...أنه وقع له خلل في عقله تريد سجنه بالمارستان"[71]. أيضا المرأة قمرة بنت بوزيد اشتكت " بابنها ...مدعية أنه وقع بعقله خلل تريد سجنه"[72]. وهذا حال المرأة مبروكة بنت علي القاسمي مع ابنها "تريد سجنه بالمارستان"[73]، و والدة أخرى مرض ابنها و "تريد سجنه"[74]. و مريض اخر "أتوا به أبناء عمه (لمجلس الضبطية) أدعوا أنه وقع بعقله خبال مطالبين بسجنه لألاّ يحدث منه شيء...أرسله المجلس للمارستان"[75]. ورجل اخر اشتكى بخاله "مدعيا أنه وقع له في عقله خلل يريد سجنه"[76].

3. المجنون وتفاعله مع محيطه:

نلاحظ من خلال الوثائق أنه من أهم أسباب سعي أهل المريض للتخلص منه وابعاده عن الحيز العام والحيّز الخاص هو تجنب النزاعات التي قد يتسبب بها المريض سواء مع المارة أو مع الجيران. ويبرز هذا المعطى من خلال أحد الوثائق حيث اشتكى رجل "بابنه ...مدعيا عليه بأنه وقع لعقله خلل خيفا لا يؤذي أحد"[77]. وفي وثيقة أخرى نجد أن أحد المرضى دخل الى دار من غير اذن أهلها[78]، وأحد "المجانين" "دخل الى ديار الناس و النسوة يصرخون"[79]. و رجل آخر "مهتوع" "وجده فرغول الضبطية...بيده مكحلة معمره يريد أن يصرخها"[80]. ومريض آخر اعترض "نواوري" و "فرّت له نواره"[81]، و"صالح بن علي الدويري...مهتوع في عقله وكلّما يمر به يمزق له حوايجه"[82]. واخر "يكسر في الأواني" بمنزله[83]. و صالح النوري "يضرب بالحجر و يكسر في البيبان"[84]. ورجل اخر دخل على امرأة "الى بيت الراحة...فأنفجعت من ذلك وقع لها ألم كبير"[85]. وارأة اخرى "روعها" مريض اخر وهي بمنزلها "وقع بها ألم و وجع ببطنها لثبوت أن بها حمل"[86]. واخر أخذ يشتم في "النصارى و غيرهم"[87]. و مريض اخر " تفل" على وجه "ترجمان بدار قنصل السبنيول"[88].

كما أنّه كثيرا ما يكثر تواجد المجانين "في الأسواق و الأزقة...يلحون على الناس في طلب الدراهم"[89]. ورجل آخر "به خبال في عقله وصار حامل بيده فاس يدور به...ومهمى يجد يهوديا يركض في أثره يريد قتله بالفاس...جماعة من اليهود...تشكوا بأن حرفتهم و معيشتهم" تعطلت[90]. و الصعوبات التي عانى منها المجنون لم تقف عند حد سجنه بالمارستان بل نجد تعرض لمتاعب في المارستان نفسه، حيث نجد مثلا أحد المجانين رفضت زوجته حمل الطعام اليه "وهو بالمارستان"[91].

لكن ليس كل الأهالي يتخلّون عن "المجنون". حيث نجد في عدد من الوثائق أن المجنون يسكن مع أهله و ان كان يعرّضهم عادة الى بعض المتاعب مع المارة أو مع الجيران[92]. وابقاء المريض بمنزل أهله يمكن أن يكون بسبب محبة أهله له و يمكن أيضا أن يكون بسبب العار الذي يلحق العائلة بسبب دخول أحد أفرادها المارستان بسبب الجنون وهذا ما نجد صداه في أحد الوثائق، فنجد أن عثمان النوري "واقع بعقله خبال" وأراد

قتل ابنه فلما أراد مجلس الضبطية حمله و "تحديده" بالمارستان "طلب أخيه أن يحدده بداره أستر، فتمكن من ذلك"[93]. كما يمكن أن تترك العائلة ابنها المريض عندها ثم تصبح غير قادرة على تحمّل أعباءه فيتم تسليمه الى المجلس، ففي أحد الوثائق نجد أن "عمر بن عمر القروي أتت به والدته بعد المغرب لضابط عسة باب البحر و ادعت أن ابنها المذكور وقع بعقله اختبال و ليس لها طاقة على مسكه"[94].

حاول عدد من المجانين الاقدام على الانتحار مثل حالة إمرأة "رمت بنفسها في بير...طلعوها حية الا أنها رأسها مدموغ و عينها مضرورة و سنيها طايحة و مشاشة ركبتها العظم ظاهر منها...أتى زوجها و كتبت سجلة بأنها مصابة بالجنون"[95]. و" سالم بن علي شوشان ...رما بنفسه ببير...قرب باب سعدون لأنه واقع بعقله خبال.أرسله المجلس للمارستان"[96]. وامرأة "بها خبال بعقلها و أرادت أن ترمي نفسها بالبير"[97]. و"رجل واقع بعقله بعض خلل...ضرب نفسه بفرد صغير على فم قلبه فمات من حينه"[98]. أما أحمد الورشفاني فقد "وقع له بعقله الاختبال...شنق نفسه في السدة الكاينه ببيته ...وجدوه معلق من رقبته بمرشانه وهو بين السدة و الأرض"[99].

كما سجّل المجنون حضوره الخاص في المدينة سواء من خلال صراخه[100]، أو تجاوزه للمعايير المجتمعيّة مثل محمد الطنطان "وقع بعقله خلل...فعل منكر"[101]، أما محمد بن علي النفاتي " طلع الى سطح" أحد الجيران "وهو مخمور وبعقله خلل"[102]. و" المنوبي بودربالة وجده فرغول الضبطية من غير فنار ماكث تحت حايط و بعقله بعض خبال"[103]. ومجنون اخر يخطف للناس "في المأكول"[104]. واخر "مختبل في عقله بيده سيف قد أشهره من غمده"[105].و اخر "بيده عمود وكل من مر بالطريق يضربه"[106]. واخر "صار يلاكش الناس في الطرقات و يخطف لهم حوايجهم"[107]. ورجل اخر "في عقله اختبال" "سجن...بالمستشفى الصادق (أي الصادقي) ...عثر عليه...منذ مدة يقول الجهاد في سبيل الله وحيث كان كلامه فيه تحيير للراحة حفظناه بالمستشفى"[108].

أيضا للمجنون تصرفاته التي تدل عليه وتُعلن تواجده في الحيّز العام مثل رجل "ماكث بقهوة كالمجذوب يخرج تارة الى بابها فيشتم غير معيّن و يسمّي أسماء لا تُعرف ويرجع الى محله" وقد قال كاتب التقرير "أننا مهمى حضر بمجلسنا أحد على هاته الحالة لا بد من ارساله الى المارستان"[109]. و أعوان الضبطية وجدوا "مسعوده بنت حاي بعقلها خلل نايمه أمام المارستان أتوا بها"[110]. كما اشتكى اليهودي ابراهم باليهودية عزيزة بنت شالوم " مدعيا أنها واقع بعقلها اختلال و تأتي لداره كل ساعة و تجعل هرجة و معركة و سب وشتم و عياط"[111]. رجل آخر اشتكى "باليهودي حليم" مدعيا عليه بأنه " خبّشه في وجهه، فظهر أنه مختبل في عقله"[112]. ورجل مجنون ضرب رجلا اخر بحجر على رأسه "فشجه به شجه فادحه" وضرب أيضا الضبطي "بحجر كسر له سباطته...وما أتوا به (الى مجلس الضبطية) إلا بجهد جهيد"[113]. وأخرى صارت تأتي كل يوم الى منزل أحد الرجال "وتصير تحجر فيهم"[114]. ويهودية مهتوعة في عقلها...تأتي لدار قنصل النيسن وتبقى تصيح بسقيف

دار القنصل"[115]. أما اليهودية جميلة بنت اسحاق فقد اشتكت "باليهودي حاي طيب معتوه في عقله مدعية عليه بأنه شتمها و ضربها"[116]. أما اليهودي اسحاق "واقع بعقله خبل "فقد "استبل "(أي تبول) على عبد الرحمان بن محمد الوارقلي[117]. و علي بن ابراهيم الجبالي " "وجدوه يشتم في الناس و يضرب مهتوع في عقله"[118]. أما الحاج طاعات المغربي وجد بباب البحر مخمورا وهو مهتوع في عقله و يشتم في القناصل و في جميع الناس بالسب"[119] وقد "جعل معركة مع النصارى"[120].واخر "عمد الى نصرانية راكبة على خيّالي هبطها الى الأرض حيث انفجعت"[121]. ومجنون آخر "زدم" على رجل بحانوته "وضربه بحجر على يده"[122]. ورجل اشتكى بأخيه مجنون " عمل لهم فارعة في الدار"[123]. أما "العربي بن يوسف العوني وجده فرغول الضبطية يجول في الأزقة و له خبال بعقله أتوا به سجن الى الصباح" ثم أرسله المجلس للمارستان"[124]. ورجل مجنون اخر أخذ يضرب أحد المنازل بالحجارة[125]. تجلى العنف أيضا من طرف المجنون في مظاهر أخرى حيث نجد مثلا أن رجلا "راكب على حصان" فضربه رجل مجنون "حتى طاح على الأرض"[126]. مجنون آخر ضرب رجلا "بحجر على وجهه جرحه"[127]. ونجد مجنون اخر "تهدد" على طفلة صغيرة مالطية "بخدمي روعها"[128]. المجنون استخدم كثيرا الايلحة الحادة[129]. ونجد مريضا اخر ضرب أباه[130]. و اخر ضرب " نصراني"[131]. الطفل أيضا كثيرا ما كان ضحية ضرب المجنون له[132]. رجل اخر مريض وجده أعوان الضبطية "يضرب و اخر ضرب " في النسوة و يتكلم في المنكر"[133]. واخر يسب في قنصل ايطاليا[134]. واخر "أراد أن يقتل أخته و يرمي نفسه بالبير"[135]. ومجنون اخر "تمكن على والدته و شتمها بالضرب"[136]. أما "حسونة الفياش مهتوع في عقله" له عود بيده "يضرب به الناس"[137].و اخر "بيده شاقور"[138]. قام أيضا المجنون بعمليات سرقة. "أتاه الى حانوته و سرق له صحفه"[139]. يمكن أيضا "للمعتوه" أن ينام ليلا في الشارع[140].

ويؤدّي المرض العقلي أحيانا إلى اقتراف العنف ضدّ أقرب أقرباء المريض مثل حالة عثمان النوري "واقع بعقله خبال فتمكن على ابنه صغير و أراد رميه بالبير و جعل هرجه كبيره بالدار"[141]. والمرأة فاطمة بنت علي أرادت قتل ابنها فلما منعها أحد الرجال "هربت الى زاوية سيدي الحلفاوي و دخلت تحت التابوت"[142]. ورجل اخر "واقع بعقله خبال...تمكن على ابنه طفل صغير...ضربه و رفعه و ألقاه بالأرض"[143].

نلاحظ أن كل مكونات المجتمع كانت ممثلة ضمن ضحايا عنف المجانين. كما أنّ المجنون في أحيان كثيرة يكون ضحية نفسه حيث نجد مثلا امرأة "بعقلها اختبال...أخذت كانون وجعلته بالنار ووضعته بين رجليها فأخذت النار فيها" وماتت[144].

برز حضور المجنون أيضا من خلال الملبوس. نجد مثلا أنّ الضبطية وجدوا امرأة مجنونة "وسبحة في رقبتها"[145]. الملبوس أيضا تجلّى عند المجنون من خلال الكنية التي تطلق عليه حيث نجد "رجل مهتوع اسمه حمده شوالق"[146]. وكلمة "شوالق" هنا تعني الأسمال أي الثياب القديمة المتهرئة الممزقة. وهذا ما يُبرز بوضوح تميز المجنون على مستوى ملبوسه في الفضاء العام. في بعض الأحيان يمكن للمجنون أن يتخلى عن بعض من ملبوسه، ففي أحد الليالي ضبطية الحاضرة و جدوا "نفر مهتوع في عقله بباب البحر مكشوف العورة"[147].

أما أماكن اقامة المجنون فنجده أحيانا في الشارع أو يسكن عند أهله أو في المارستان، وفي أحد الوثائق "امرأة بعقلها خبال تسكن بدار عواهر"[148]. ونلاحظ من خلال وثائقنا أن المجنون عادة ما يبرز الى الحيز العام في الليل[149]، وأحيانا يكون"مخمورا"[150]، بل أن الخمر يمكن أن يؤدي في بعض الحالات الى الجنون[151]. كما نسجّل أن عامل السن لم يكن حاجزا أمام الأمراض العقلية، ففي أحد الليالي "فرغول الضبطية وجدوا بنت مراهقة بسوق البلغة مهتوعة في عقلها...فبلغوها لدار والدها"[152].

عانى عدد من المجانين من "الصرع" مثل حالة أحد الرجال "يعلمون منه الجنون...فاعتراه الصرع فرمى بنفسه في البير فمات من حينه"[153]. ونجد أيضا أن الذي يصاب بالجنون يتم فصله عن عمله و "يطرح من الزمام لاختبال عقله"[154] .مثل ضبطي أخرج من الخدمة " لاختلال عقله و عدم تصرفه و الان بالمارستان"[155]. أما الضبطي علي بن محمد عزل من الضبطية لأنه "مهتوع في عقله و لا يليق بالخدمة"[156]. والجنون أيضا سجّل حضوره على مستوى طوبونوميا الفضاء العام حيث نجد زقاق يسمى "دريبة الجنون".[157]

4. خاتمة:

سعينا أن نقدّم من خلال هذا العمل مجموعة من الإضافات. تبيّن لنا أهميّة فئة "المجانين" في مدينة تونس خلال النصف الثاني من القرن 19. تعرّض المجنون لمجموعة لعنف رمزي كبير من قبل السكّان حيث وُصم بنعوت كثيرة وشُكّلت حوله صور نمطيّة عديدة. لم يكتفي المجتمع بذلك، حيث لم يُخضع المجنون للعلاج بل للعزل والحجز والاقصاء ولم يُواكب التطبيب والعلاج في الإيالة التونسيّة التقدّم الطبّي في أوروبا خلال نفس الفترة التاريخيّة. من ناحية أخرى، أثّث المجنون فضاء مدينة تونس بتصرّفات كثيرة منها الطريف ومنها العنفي، وفي الحالتين سجّل حضوره الذي حاولت العائلة والمجتمع والسلطة تغييبه.

5. قائمة المصادر والمراجع:

العربية

المصادر:

الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602، الملف الفرعي، 1- 32

دفتر 1498

دفتر 3471

دفتر 3499

المراجع:

ميشيل فوكو، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2010

المراجع الأجنبية:

Cl. Quétel, « Garder les fous dans un asile de province au 19e siècle. Le Bon-Sauveur de Caen », *Annales de Normandie*, Année 1979, 29-1, pp. 75-107

Claude Quétel, Pierre Morel, *Les Fous et leurs médecines : De la Renaissance au 20e siècle*, Hachette, Paris, 1979

الهوامش:

[1] Cl. Quétel, « Garder les fous dans un asile de province au 19e siècle. Le Bon-Sauveur de Caen », *Annales de Normandie*, Année 1979, 29-1, pp. 75-107

[2] Claude Quétel, Pierre Morel, *Les Fous et leurs médecines : De la Renaissance au 20e siècle*, Hachette, Paris, 1979

[3] ميشيل فوكو، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2010.

[4] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69072 + 69096

[5] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70001

[6] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70001

[7] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 68079

[8] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 68091

[9] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69006

[10] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69010

[11] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد70545

[12] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69011

[13] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69013

[14] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70028

[15] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70066

[16] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70153

[17] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70237

[18] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70342

[19] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 12 الوثيقة عدد 70766

[20] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 13 الوثيقة عدد 71317

[21] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 16 الوثيقة عدد 72089

[22] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 21 الوثيقة عدد 73430

[23] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 24 الوثيقة عدد 74067

[24] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 219 مكرر. الملف عدد 337 مكرر.الملف الفرعي. 3/2 الوثيقة عدد 113

[25] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 120. الملف عدد 421. الوثيقة عدد 1075

[26] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 70276

[27] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69072

[28] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70001

[29] دفتر 3471 / 15 شعبان 1277

[30] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69030

[31] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69010

[32] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70150

[33]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70146

[34]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70484

[35] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 26 الوثيقة عدد 74512

[36] دفتر 3498 / 2 جمادى الأولى 1278

[37]دفتر 3499 / 12 جمادى الثانية 1278

[38] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 16 الوثيقة عدد 72089

[39] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69072

[40] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 23. عدد الوثيقة 74013

[41]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي. 13. عدد الوثيقة 71034

[42] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 13 الوثيقة عدد 71046

[43]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 18 الوثيقة عدد 72763

[44] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 13 الوثيقة عدد 71046

[45] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 12 الوثيقة عدد 70891

[46] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70001

[47] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69097

[48] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69092

[49] أنظر مثلا نفس الوثيقة

[50]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 68079

[51]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70062

[52] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 15 الوثيقة عدد 71836

[53] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 30 الوثيقة عدد 75651

[54] دفتر 3482 / 23 ذي الحجة 1277

[55] دفتر 3484 / 9 – 10 محرم 1278

[56]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70083

[57] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 17 الوثيقة عدد 72273

[58]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70336

[59] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد 70746

[60] دفتر 3463 / صفر 1277

[61] دفتر 3471 / 15 شعبان 1277

[62] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 609. الوثيقة عدد 67442

[63]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70044

[64] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 12 الوثيقة عدد 70815

[65] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 25 الوثيقة عدد 74162

[66] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 17 الوثيقة عدد 72273

[67]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70066

[68] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 19 الوثيقة عدد 72825

[69] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69016

[70] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد 1

[71] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70023

[72] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70031

[73] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70038 + 70044

[74]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70194

[75]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70212

[76]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70292

[77] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70127

[78]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70151

[79] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70208

[80]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70201

[81]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70202

[82] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70315

[83]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70329

[84]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70388

[85]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70473

[86] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد70545

[87] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد 70592

[88] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 12 الوثيقة عدد 70776

[89] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 13 الوثيقة عدد 71317

[90] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 219 مكرر. الملف عدد 337 مكرر.الملف الفرعي. 7/3 الوثيقة عدد 346

[91] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70062

[92] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70114+70028

[93]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70464

[94]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد 70681

[95] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 68091

[96] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69010

[97]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70169 و أنظر أيضا و.71171 + السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد 1

[98]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70343

[99] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 19 الوثيقة عدد 72825

[100]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 72175

[101] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69092

[102] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69096

[103] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70153

[104]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70477

[105]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد70645

[106] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 12 الوثيقة عدد 70762

[107] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 24 الوثيقة عدد 74054

[108] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 24 الوثيقة عدد 74137

[109]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 13 الوثيقة عدد 71317

[110]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70293

[111] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70001

[112] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 68079

[113] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70185 / 69006...

[114]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70186

[115] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 12 الوثيقة عدد 70891

[116] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69011

[117] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69013

[118]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70043

[119] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 69030

[120] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70017

[121]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70223

[122] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70006

[123] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70019

[124]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70021

[125]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70021

[126]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70060

[127]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70080 + 70091

[128]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70195 + 70091...

[129]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70479 / 70202...

[130] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70108

[131] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70185

[132] أنظر مثلا السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70487 + 70118

[133] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70146

[134]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70155

[135] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70171

[136]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد 70536

[137]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70423

[138] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 28 الوثيقة عدد 75163

80السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70181 / 70056 / 70282 + 70337

[140]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70033

[141]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70464

[142]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70471

[143]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد70610

[144]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 15 الوثيقة عدد 71728

[145] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70025

[146]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70091

[147]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70208

[148]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد70649

أنظر مثلا الوثائق. السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة + 70025 +70021

[149]عدد70157+ 70028

[150]السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70175 / 70198 / 70155 / 70202...

[151] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 27 الوثيقة عدد 74907

[152] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70025

[153] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الوثيقة عدد 70237

[154] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد 70741

[155] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 13 الوثيقة عدد 71353

[156] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 17 الوثيقة عدد 72452

[157] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602.الملف الفرعي. 11 الوثيقة عدد 70719